أصول اللغة

التداولية وفائض القيمة في نظرية النظم لعبد القاهر الجرجاني

مقاربة نقدية لتفاعل المعنى والسياق

إعـــــداد

د/ إيمان الطريفي عبد الرحمن محمد

أستاذ مشارك: قسم اللغة العربية، كلية التربية جامعة البحر الأحمر، بورتسودوان

د/ سامية حسين سعيد

أستاذ مشارك: قسم اللغة العربية، كلية الآداب جامعة البحر الأحمر، بورتسودوان

مجلة الكلية

التداولية وفائض القيمة في نظرية النظم لعبد القاهر الجرجاني
مقاربة نقدية لتفاعل المعنى والسياق

إيمان الطريفي عبد الرحمن محمد

قسم اللغة العربية، كلية التربية جامعة البحر الأحمر، بورتسودوان

البريد الإلكتروني: emanhbib2@gmail.com

سامية حسين سعيد

قسم اللغة العربية، كلية الآداب جامعة البحر الأحمر، بورتسودوان

البريد الإلكتروني: dr.kh35@yahoo.com

ملخص البحث:

تهدف هذه الدراسة إلى استكشاف العلاقة بين التداولية وفائض القيمة في نظرية النظم لعبد القاهر الجرجاني، من خلال مقاربة نقدية تحليلية تستند إلى المنهج التداولي والمنهج النقدي الحديث. تحاول الدراسة الإجابة على إشكالية رئيسية تتعلق بكيفية تفاعل البنية اللغوية مع السياق لإنتاج فائض دلالي يتجاوز المعنى المباشر، ومدى إمكانية قراءة نظرية النظم من منظور تداولي حديث.

تعتمد الدراسة على المنهج الوصفي التحليلي، حيث يتم تحليل نصوص مختارة من كتابي دلائل الإعجاز وأسرار البلاغة، مع مقارنة ذلك بالمقاربات الحديثة في التداولية والنقد الأدبي. كما يتم الاستعانة بالدراسات السابقة التي تناولت الجرجاني ونظريته، خاصة تلك التي ركزت على البعد السياقي في إنتاج المعنى، مثل أعمال تمام حسان وحازم القرطاجن. توصلت الدراسة إلى عدة نتائج، أبرزها أن نظرية النظم عند الجرجاني تتلاقى مع التداولية الحديثة في تأكيدها على أن المعنى لا يُفهم من الألفاظ منفصلة، بل من العلاقات النحوية والدلالية والسياقية التي تربطها. كما أظهرت الدراسة أن مفهوم فائض القيمة يتجلى في النصوص البلاغية من خلال إمكانيات التأويل المتعددة التي يتيحها النظم، مما يجعل المعنى غير ثابت بل متحرك وفق السياق والنية التداولية.

تكمن أهمية هذه الدراسة في إبراز كيف يمكن استثمار النظريات الحديثة لفهم

البلاغة العربية الكلاسيكية بطريقة أكثر عمقًا وديناميكية، مما يسهم في تحديث الدراسات البلاغية والنقدية ويعيد الاعتبار لنظرية النظم بوصفها نموذجًا متكاملاً في تحليل الخطاب.

الكلمات المفتاحية: التداولية، فائض القيمة، نظرية النظم، السياق، التأويل، تحليل الخطاب

"Pragmatics and Surplus Value in Abd al-Qahir al-Jurjani's Theory of Nazm: A Critical Approach to the Interaction of Meaning and Context"

Iman Al-Tarifi Abdel-Rahman Mohamed
Associate Professor: Department of Arabic Language, Faculty of Education, Red Sea University, Port Sudan
Email: emanhbib2@gmail.com
Samia Hussein Saeed
Associate Professor: Department of Arabic Language, Faculty of Arts, Red Sea University, Port Sudan
Email: dr.kh35@yahoo.com

Research Summary:
This study aims to explore the relationship between pragmatics and surplus value within Abd al-Qahir al-Jurjani's Theory of Nazm, through a critical and analytical approach that employs both pragmatic and modern literary methodologies. The research seeks to address a fundamental question regarding how linguistic structure interacts with context to generate a surplus of meaning beyond its direct interpretation and how Jurjani's theory can be reexamined from a modern pragmatic perspective. The study adopts a descriptive-analytical method, analyzing selected texts from Dala'il al-I'jaz and Asrar al-Balagha, while comparing them to contemporary approaches in pragmatics and literary criticism. It also incorporates previous studies on Jurjani's theory, particularly those that focus on the contextual production of meaning, such as the works of Tammam Hassan and Hazim al-Qartajanni.The findings indicate that Jurjani's Theory of Nazm aligns with modern pragmatics in its emphasis on meaning as a function of syntactic, semantic, and contextual relations rather than isolated words. Furthermore, the study reveals that surplus value manifests in rhetorical texts through the multiple interpretative possibilities enabled by the structuring of discourse, making meaning dynamic rather than fixed within a given textual framework.This research highlights the importance of integrating modern theoretical perspectives to deepen our understanding of classical Arabic rhetoric. By bridging traditional and contemporary approaches, it contributes to the renewal of rhetorical and critical studies, reaffirming Jurjani's Theory of Nazm as a comprehensive model for discourse analysis.

Keywords. Pragmatic; Surplus Value;.Theory of Nazm; Context; Interpretation; Discourse Analysis

بسم الله الرحمن الرحيم

مُقدِّمة

أهداف الدراسة:

١. تحليل العلاقة بين التداولية وفائض القيمة في نظرية النظم لعبد القاهر الجرجاني، وبيان كيف يسهم السياق في تشكيل المعنى.
٢. إعادة قراءة نظرية النظم من منظور تداولي حديث، وإبراز إمكانياتها في تحليل النصوص الأدبية والبلاغية.
٣. مقارنة مفهوم فائض القيمة في النقد الأدبي الحديث بمفهوم النظم، لتوضيح كيف يولّد النص معاني تتجاوز دلالته المباشرة.
٤. إثبات أن الجرجاني سبق التداوليين المعاصرين في ربط المعنى بالسياق والوظيفة التواصلية للخطاب.
٥. توظيف المنهج التداولي والنقدي في تحليل نصوص الجرجاني، وإبراز جدواها في تطوير الدراسات البلاغية والنقدية الحديثة.

مشكلة الدراسة:

تدور إشكالية البحث حول السؤال التالي:

كيف يمكن فهم نظرية النظم لعبد القاهر الجرجاني في ضوء التداولية وفائض القيمة؟

إلى أي مدى يمكن اعتبار نظرية النظم نموذجًا أوليًا للنظريات التداولية الحديثة في تحليل الخطاب؟

كيف يسهم مفهوم فائض القيمة في الكشف عن البعد التأويلي للنصوص البلاغية؟

فرضيات الدراسة:

١. تفترض الدراسة أن التداولية وفائض القيمة يسهمان في إعادة فهم نظرية النظم بطريقة أكثر ديناميكية.

٢. تفترض أن السياق هو العنصر الحاسم في تحديد المعنى عند الجرجاني، مما يجعله قريبًا من الاتجاهات التداولية الحديثة.

٣. تفترض أن فائض القيمة في النصوص البلاغية ينشأ من العلاقات النحوية والدلالية التي تؤدي إلى تعددية المعنى، مما يتوافق مع منهجية النظم.

٤. تفترض أن نظريات التداولية الحديثة يمكن أن تستفيد من نظرية النظم في تطوير أدوات تحليل النصوص العربية.

منهج الدراسة:

اعتمدت الدراسة على المنهج الوصفي التحليلي، والمنهج المقارن ، حيث يتم تحليل نصوص مختارة من دلائل الإعجاز وأسرار البلاغة وفق الأسس التداولية والنقدية الحديثة. كما يتم توظيف المقاربة المقارنة بين نظرية النظم ونظريات التداولية الحديثة، مثل نظرية أفعال الكلام لسيرل، ونظرية السياق عند بول غرايس.

الدراسات السابقة:

١. تمام حسان – تناول العلاقة بين السياق والمعنى في الدراسات اللغوية العربية. "مجلة دراسات في اللغة العربية وآدبها ، فصليه محكمة ، العدد الثامن عشر ١٣٩٣هـ"

٢. حازم القرطاجني – أشار إلى تأثير النظم في توليد الدلالة، وهو ما يقترب من مقولات التداولية الحديثة. " المحكاة في شعرية حازم القرطاحني ، م م عبدالله الجمعة المستنصرة / كلية الادآب / قسم اللغة العربية "

٣. دراسة مقارنةإبراهيم حسين ١٩٨٩م بعنوان نظرية الأدب عند عبد القاهر الجرجاني رسالة ماجستير غير منشورة جامعة الخرطوم، كلية الآداب، قسم اللغة العربية، وقعت الدراسة في أربعة فصول تناولت المصادر الأدبية التي تأثر بها عبد القاهر الجرجاني.

٤. دراسة عبد المجيد محمد التائب، بعنوان عبد القاهر الجرجاني وآراءه النقدية، رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة الخرطوم كلية الآداب، قسم اللغة العربية تناولت الدراسة حياة الجرجاني وآراءه النقدية. كما تمثل هذه الدراسة محاولة لإعادة قراءة

نظرية النظم لعبد القاهر الجرجاني في ضوء التداولية وفائض القيمة، حيث سعت إلى إبراز كيف يمكن للبلاغة العربية، ممثلةً في فكر الجرجاني، أن تتقاطع مع أحدث النظريات اللغوية والنقدية الحديثة .لقد أثبتت الدراسة أن المعنى في نظرية النظم ليس ناتجًا عن الألفاظ المفردة، بل يتشكل من خلال العلاقات النحوية والسياقية التي تربط بين العناصر اللغوية، مما يجعلها قريبة من المفاهيم الأساسية للتداولية . كما أظهرت أن فائض القيمة في الخطاب الأدبي ينبثق من تعددية المعاني والتأويلات التي يتيحها النظم، وهو ما يعكس الطبيعة الديناميكية للنصوص البلاغية.

الفرق بين الدراسة الحالية حول أثر عبد القاهر الجرجاني في البلاغة العربية من منظور التداولية وفائض القيم والدراسات السابقة المذكورة:

أولًا :طبيعة الدراسة الحالية زاوية جديدة :تستخدم منهج التداولية وفائض القيمة لتحليل نظرية النظم عند الجرجاني ، تحليل حديث :تقرأ تراث الجرجاني بنظريات لغوية ونقدية معاصرة "مثل سيرل وغرايس"

التركيز على السياق والتأويل :تؤكد أن المعنى في النص الأدبي لا ينبع فقط من الألفاظ بل من السياق والعلاقات الداخلية.

ثانيًا :مقارنة بالدراسات السابقة

١. دراسة تمام حسان :العلاقة بين السياق والمعنى من منظور لغوي تقليدي.

الفرق: لم تعتمد على نظرية فائض القيمة أو المنهج التداولي الحديث.

٢. دراسة حازم القرطاجني: أثر النظم في توليد الدلالة.

الفرق: تقترب من التداولية لكنها لم توظف أدواتها النظرية كما فعلت الدراسة الحالية.

٣. رسالة نصر الدين إبراهيم حسين :(1989) نظرية الأدب عند الجرجاني من خلال مصادره الأدبية.

الفرق: دراسة وصفية تقليدية لا تتضمن منهج تداولي ولا مفهوم فائض القيمة.

٤. رسالة عبد المجيد التائب :سيرة الجرجاني وآراؤه النقدية.

الفرق: أقرب للسيرة الفكرية، دون تأويلات معاصرة أو ربط بالنظريات الغربية.

خلاصة الفرق:

الدراسة الحالية تتميز بأنها دراسة مقاربة تحليلية نقدية حديثة تسعى لإعادة قراءة عبد القاهر الجرجاني باستخدام أدوات منهجية معاصرة) التداولية، فائض القيمة، التأويل، السياق، تحليل الخطاب (مما يفتح المجال لتجديد البلاغة العربية .أما الدراسات السابقة فإما تاريخية أو وصفية تقليدية أو لغوية دون توظيف نظريات تحليل الخطاب الحديثة.

الدراسة الاجرائية:

تعد البلاغة العربية من الحقول الفكرية التي شهدت تحولات عميقة على مدار العصور، وكان لعبد القاهر الجرجاني "ت ٤٧١هـ" إسهام بارز في صياغة نظريات لغوية ونقدية ما زالت تحظى براهنيتها في الدراسات الحديثة. ومن بين أهم أفكاره تأتي نظرية النظم، التي شكلت نقطة تحول في فهم العلاقة بين المعنى والبنية، مما يفتح المجال لقراءتها في ضوء النظريات اللغوية الحديثة، مثل التداولية "Pragmatics" وفائض القيمة "Surplus Value" والسياق في إنتاج المعنى التداولي، باعتباره فرعًا من علم اللغة يهتم بكيفية استخدام اللغة في التفاعل الاجتماعي، تسلط الضوء على الأبعاد التداولية للخطاب، حيث لا يقتصر المعنى على البنية اللغوية بل يتجلى عبر السياق والاستعمال. وفقًا لهذه المقاربة، يصبح الفهم الصحيح لأي خطاب مرهونًا بظروف إنتاجه، والنيات الكامنة خلفه، والمتلقي الذي يؤوله. هذا يعكس مقولة الجرجاني الشهيرة بأن "المعاني تابعة للنظم"، مما يجعلنا أمام بلاغة لا تقتصر على اللفظ بل تمتد إلى التفاعل الدلالي والسياقي. أما فائض القيمة، فهو مفهوم نشأ في الاقتصاد السياسي عند ماركس لكنه وجد امتداداته في النقد الأدبي، حيث يشير إلى المعاني الإضافية التي تتجاوز المعنى الظاهر للنص، مما يخلق شبكة من التأويلات التي تتباين وفقًا للسياق والذات القارئة. في هذا الإطار، يمكن إعادة قراءة نظرية الجرجاني من منظور يبرز كيف تتولد المعاني في النص الأدبي من خلال النظم والسياق، لا من خلال اللفظ المجرد.

إن هذه الدراسة تهدف إلى استكشاف التفاعل بين التداولية وفائض القيمة في بلاغة عبد القاهر الجرجاني، من خلال تحليل نصوصه ضمن سياقاتها الفكرية واللغوية. كما تسعى إلى إبراز كيف أن نظريته في النظم لم تكن مجرد تنظير لغوي، بل كانت رؤية متقدمة تفترض فهم اللغة بوصفها كيانًا ديناميًا يتشكل ضمن إطار تداولي يحدد معناه النهائي. ومن هنا، فإن إعادة قراءة تراث الجرجاني وفق هذه المداخل الحديثة يتيح إمكانيات جديدة في فهم البلاغة العربية، بعيدًا عن القوالب التقليدية التي حصرتها في مستويات شكلية دون التعمق في بعدها التداولي والتأويلي.

نشأة الجرجاني وآثاره:

هو عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني وكنيته أبوبكر، ولد في مطلع القرن الخامس للهجرة في جرجان، وهي مدينة مشهورة بين طبرستان وخراسان، فيها مياهاً كثيرة، وضياعاً عريضة، وليس بالمشرق بعد أن تجاوز العراق مدينة أجمل ولا أظهر حسناً من جرجان على مقدارها، وذلك بأن بها الثلج والنخل وبها الفواكه النادرة، ويتسم أهلها بالتأني والأخلاق الحميدة، وقد خرج من جرجان كثير من العلماء والفقهاء والمحدثين والأدباء، وكانت في القرنين الخامس والسادس تعج بحركة علمية واسعة، ويثبت لها الفضل بأنها أنجبت الأديبين الكبيرين: القاضي علي بن عبد العزيز الجرجاني، والإمام عبد القاهر الجرجاني. وكانت جرجان حينها مهد المذاهب والعقائد، تجد أحياناً قدر من الحرية مع ما كان فيها من صراعٌ سياسي وحروب في القرن الخامس بين المتحاكمين.

أن اسم جده محمد، ولد في جرجان لأسرة فارسية فقيرة، فظل يوم ولادة الجرجاني مجهولاً[1]. قال عنه صاحب "دمية القصر" المقتول سنة "٤٦٧هـ"اتفقت على إمامته الألسنة وتجملت بمكانه وزمانه الأمكنة والأزمنة، أثنى عليه طيب العناصر، وثنيت به عقود الخناصر، فهو فرد في علمه الغزير، لا بل هو العلم الفرد في الأئمة المشاهير...إلخ، كتب عنه الدكتور محمد عبدالمنعم خفاجي وهو محدث على غلاف كتابه دلائل الإعجاز الذي علق عليه "٤٠٠ - ٤٧١" عن تاريخ ميلاده، ولم يذكر ما اعتمد عليه في إيراد هذا التاريخ. يعني هذا أن عبد القاهر مات في سن لا تتجاوز السبعين، وهو واضع أصول البلاغة"[2].

علمه وثقافته:

كان عبد القاهر الجرجاني مثقفاً عالماً، ونموذجا طيباً في حياته العلمية، ذاع صيت ثقافته وعلمه بين الناس على اختلاف الحواضر الكبرى التي كانت تعمها الثقافة العربية،

(١) شهاب الدين بن عبد الله الحموي ـ معجم البلدان، دار صادر بيروت، ج٢، ص١١٩.

(٢) علي بن حسن بن علي بن أبي الطيب الباخرزي، . دمية القصر وعصرة أهل العصر، تحقيق ودراسة محمد التونجي، دار الفكر للطبع والتوزيع.

مثل بغداد، والكوفة، ودمشق، والفسطاط، وقرطبة، وإشبيلية. ورُغم أنه لم يبرح مدينة جرجان إلا أنه ولشدة شهرته العلمية كانت تشد إليه الرحال، فقد كان دارساً ومدرساً، واستفاد من ثقافة علماء العربية في عصرهم، كما كانت أمال الفلاسفة والمناطقة والمتكلمون على اختلاف مجموعها العربي والفارسي والأجنبي[١]، قد شكلت شخصيات أمثال الكندي والفارابي وابن سيناء، الذين كانوا يقرب زمنهم زمن عبد القاهر الجرجاني، ومما يدل على ثقافته وسعت إطلاعه في كتبه؛ تناوله عن كثير من العلماء، كسيبويه، والجاحظ، وأبي علي الفارسي، وابن قتيبة، وقدامة بن جعفر، والآمدي، والقاضي الجرجاني. وقد ظهرت في تناوله لمختاراته الشعرية، للمتنبي، والبحتري، وأبو تمام. مما يوضح أنه تثقف ثقافة أدبية ونحويه ولغوية، إلى جانب ثقافته الدينية وورعه، وإن كان يغلب على اطلاعه النحو والبلاغة، وقد كان يلقب بالنحوي، ويعتبر من أكابر النحاة. وثقافته لم تكن إلا مزيجاً طيباً لثقافة عصره، الذي تمازجت فيه الثقافات العربية بالفارسية، والهندية، واليونانية؛ بسبب الحراك الاجتماعي آن ذاك. وقد كانت اللغة في العصر العباسي؛ الذي عاش فيه الجرجاني في أوج ازدهارها.

وجدد الشعراء العباسيون في ألوان الشعر العديد من الفنون إلى ما ورثوه من العصر الجاهلي والإسلامي والأموي، وقد برزت شخصيات الفقهاء، مثل الإمام مالك، والإمام أحمد بن حنبل، والشافعي. فتسارعت ألوان من الثقافة اقتضتها حاجات المجتمع الجديد، فأصبح رصيدٌ ثقافياً، مكن عبد القاهر الجرجاني من تحصيل علمه وهو في بلده لا يغادره، فكان منشغلاً بالقراءة والدرس في العلوم اللغوية والدينية. وقد استفاد الجرجاني من العلماء، مثل أبي الحسن محمد بن الحسن بن عبد الوارث النحوي بن أخت أبي علي الفارسي عالم النحو والصرف العربي المشهور.

ورغم أن معجم الأدباء يذكر أن عبد القاهر قرأ على القاضي على بن عبد العزيز صاحب الوساطة بين المتنبي وخصومه. وأوجد ظاهرة علمية لا تكون إلا في أزمنة الازدهار الحضاري لأمة من الأمم في إقامة صاحب الدلائل بجرجان، لا يبرحها وبلوغه في العلم تلك

(١) ابن مضاء، بغية الوعاء، المكتبة العصرية: بيروت، ١٩٦٤م، ج٢، ص ١٠٦.

المكانة التي تجعله يفرغ إلى طلابه ومريديه يتلقون عنه المعرفة في النحو والصرف والبلاغة والنقد والكلام والجدل وقد ذكر القفطي في: أبناء الرواة "أنه تصدر بجرجان وحثت إليه الرحال وصنف التصانيف الجليلة وقال السيوطي في: بغية الوعاة كان عبد القاهر الجرجاني من كبار أئمة العربية والبيان شافعياً أشعرياً. وحفلت كتب التراجم والأخبار والتصنيف بأخبار عبد القاهر العلمية وبأسماء مؤلفاته وألمحت إلي بعض أحواله في حياته الشخصية وهي غامضة لا تبين إلا الشكوى من الزمان وأهله، ولم يكن ثمت ما يثير الاهتمام من تنوع العلاقات الاجتماعية لدى الجرجاني؛ ويروي قدر قليل من الأبيات للجرجاني قيمتها في إظهار معالم من حياته لا في خصائص فنية؛ ولا شك في أن هذا الشعر حصيلة تلقائية طبيعية لعالم أكثر من تداول الأشعار، فالإيقاع يسهل التعامل معه تقطيعاً صوتياً فترتب أغراض عادية مألوفة دون عمق ولعل عبد القاهر لم يقصد إلي شيء مما يرمي إليه الشعراء".

التداولية:

هي فرع من اللسانيات يدرس كيفية استخدام اللغة في التواصل اليومي، مع التركيز على السياق الذي يتم فيه تبادل الرسائل اللغوية. تهتم التداولية بعناصر مثل المقاصد، والسياق، والتضمين، والافتراضات المسبقة، وأفعال الكلام.

وفي سياق الدراسة، ننظر إلى نظرية النظم عند عبد القاهر الجرجاني من منظور تداولي، حيث إنه يرى أن بلاغة الكلام لا تكمن فقط في الألفاظ، بل في العلاقات بين الكلمات داخل الجملة، مما يعكس تأثير السياق في فهم المعاني. والتداولية تساعد في تفسير كيف أن النظم الجرجاني يراعي السياقات المختلفة لإنتاج المعنى المناسب، وهو ما يعكس أهمية تحليل البلاغة العربية في ضوء المناهج اللسانية الحديثة.

اما فائض القيمة: مفهوم اقتصادي طرحه كارل ماركس، لكنه استُخدم فيما بعد في النقد الثقافي والأدبي للإشارة إلى القيم الإضافية التي يحملها النص خارج معناه الظاهر. ففي البلاغة، يمكن تطبيق هذا المفهوم على الطريقة التي يولد بها النص الأدبي معاني إضافية من خلال النظم والاستعارات والتراكيب البلاغية.

في تحليل نظرية الجرجاني، يمكن اعتبار فائض القيمة في النصوص البلاغية نتاجًا لتفاعل النظم مع الذوق الجمالي والمتلقي. فالنظم لا يقتصر على تركيب الألفاظ وفق القواعد النحوية، بل يسهم في خلق قيمة جمالية ومعنوية تتجاوز البنية اللغوية الظاهرة، مما يعزز التأثير البلاغي للنصوص العربية.

تعتمد نظرية النظم عند الجرجاني على فكرة أن المعنى لا ينشأ من الكلمات المفردة فقط، بل من ترتيبها في سياق معين، وهذا يتماشى مع منهج التداولية الذي يركز على السياق في إنتاج المعنى.

فائض القيمة يظهر في النصوص البلاغية من خلال التراكيب المعقدة والمجازات التي تضيف طبقات دلالية جديدة إلى النص، وهو ما يتوافق مع طريقة الجرجاني في إبراز الإعجاز البلاغي للنصوص.

آثاره: ـ

مصنفات عبد القاهر: -

نستطيع أن نصنف ونرتب مصنفات عبد القاهر الجرجاني في عدد من الأقسام المؤلفة ذلك أنها تدور في فلك علوم العربية والإعجاز والأدب:

أ. الدراسات النحوية والصرفية والعروضية:

١. كتاب "المغني" في النحو وهو ثلاثون جزءاً وضعه شرحاً لكتاب أبي على الفارسي "الإيضاح".

٢. كتاب "المعتقد" وهو تلخيص في مجلد واحد لما جاء في " المغني" "ط. بغداد ١٩٨٢ جزآن".

٣. "الإيجاز" وهو مختصر لكتاب "الإيضاح".

٤. "العوامل المئة" في النحو "ط. بولاق. مصر. ١٢٤٧هـ".

٥. شرح كتاب "العوامل" واسمه "الجمل" "ط. دمشق".

٦. العمدة في التصديق.

٧. كتاب العروض.

ب . الدراسات القرآنية:

١. شرح الفاتحة.

٢. "المقتصد" وهو شرح مبسوط لكتاب "الإعجاز" الذي صنفه أبو عبد الله محمد بن زيد الواسطي "ت ٣٠٦هـ".

٣. شرح مختصر لكتاب "الإعجاز" للواسطي.

٤. الرسالة الشافعية في الإعجاز "ط. القاهرة. دار المعارف. بمصر ١٩٧٦. ط٣".

مصنفاته البلاغية:

لعبد القاهر عدد من الدراسات البلاغية وصل إلينا بعضها، ومازال بعضها مجهولاً. من أهم مصنفاته البلاغية التي ظهر فيها اهتمامه بأسلوب القرآن الكريم، ونظمه هي "دلائل الإعجاز"، وقد ألف كتبه البلاغية ليوضح فكرة النظم، ويرد على كثيرٍ من الذين يدُعون الشبه حول الإسلام والقرآن.

ونجد أن القدماء لم يهتموا بمؤلفاته البلاغية ولم يمر ذكرها إلا عند المتأخرين أمثال طاش كبرى زاده[١] الذي قال عنه: "لو لم يكن له سوى كتابي أسرار البلاغة ودلائل الإعجاز لكفاه شرفاً وفخراً"، أما المحدثون فيشيرون أحياناً أنه إمام أئمة العربية والبيان سوى أنهم لا يذكرون "دلائل الإعجاز" و"أسرار البلاغة" ولا يهتمون بهما إلا نادراً، وكأن شهرته النحوية غلبت على منزلته الأدبية وجهوده البلاغية والنقدية[٢] وكانت كتبه"دلال الإعجاز وأسرار البلاغة" من أُمهات الكتب العربية التي قامت عليها نهضة العرب الأدبية في هذا القرن وقيل أن هذه الكتب تدرس في الأزهر الشريف، نقل عن السيد محمد رشيد

(١) (هو أبوالخير أحمد بن مصلح الدين مصطفى طاش كبره زاده عصام الدين، ولدفي بروسه وتفقه على يد أبيه وغيره في أنقره ثم في الأستانة وأماسية، ولما بلغ سن الثلاثين من عمره تعين أستاذاً في مدرسة أورج باشا، ثم انتقل إلى مدرسة المولى محي الدين في الأستانة، ثم تعين قاضياً في حلب، ثم أصيبة بإلتهابٍ أفقده البصر، توفية عام ٩٨٦هـ، له كثير من الكتب في التأريخ منها (مفتاح السعادة ومصباح السيادة)، وعن العلوم وأقسامها وله عدة كتب ورسائل. جرجي زيدان ـ تأريخ آداب اللغة العربية ـ طبعة دار الهلال ـ ج٣ ـ (ص٣٣٨ ـ ص٣٣٩).

(٢) الأنباري، نزهة الألباء، ص ٢٦٤.

رضى رحمه الله:"الجامع الأزهر هو أول معهد من معاهد التعليم الديني العربي قرأت فيه دلائل الإعجاز وأسرار البلاغة؛ درساً لطلاب البلاغة. ولأجله طبع كتابان، ولكن أحجم العلماء كلهم بعد الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده عن قراءتهما مع أنهما مقرران فيه رسمياً وقد عرف تأثيرهما في الطلاب".

وتمسك الدارسون في السنوات الأخيرة بالكتابين لأنهم وجدو فيهما أصول أحدث النظريات النقدية التي نادى بها نقاد الغرب. ولم يذكر الجرجاني صراحةً أي الكتابين أسبق، وذكر الدكتور شوقي ضيف أن الدلائل أسبق من الأسرار؛ لأن له آراءه في الكتاب الأخير وهي أدق وأوضح، وكأنما تكاملت له الأدوات في تصوير دلائل التراكيب البلاغية، ولأن عبدالقاهر تراجع في "الأسرار" عن رأيه في المجاز؛ فقد جعله عقلياً كله في الدلائل وجعل بعضه لغوياً في الأسرار. وذهب فريق آخر إلى أن "أسرار البلاغة" أسبق منهم الدكتور أحمد إبراهيم موسى والدكتور محمد عبد المنعم خفاجي الذي قال:"وقد ألف عبد القاهر كتابه أسرار البلاغة أولاً؛ ثم ألف دلائل الإعجاز ثانياً فهو يحيل في دلائل الإعجاز على أسرار البلاغة في غير وضوح وجلاء وهو يستدل بكلمة للآمدي في الأسرار ثم بعد أن يتهم النظر يخطئه في دلائل الإعجاز".

إن الحديث عن هذا الموضوع قد لا يوصل إلى رأي قاطع، يمكن الأدلة ترجح أن الدلائل ألف قبل الأسرار لأن عبد القاهر كان في أول الأمر معنياً بالدراسات القرآنية، وكانت مسألة إعجاز القرآن الكريم تشغله كثيراً ولذلك شرح كتاب "إعجاز القرآن في نظمه وتأليفه" رأى عبدالله محمد بن يزيد الواسطي مرتين وكتب رسالة الإعجاز هي الرسالة الشافية ويعتبر كتاب " دلائل الإعجاز " لهذه الحلقة التي بداها عبد القاهر، فلا يبعد أن يكون أسبق من الأسرار الذي كان حديثاً عن الصور الأدبية في كلام العرب وصلتها بنظرية النظم التي فصل القوى فيها في الدلائل.

ورغم أن معجم الأدباء يذكر أن عبد القاهر قرأ على القاضي علي بن عبد العزيز صاحب "الوساطة بين المتنبي وخصومه" وأوجد ظاهرة علمية لا تكون إلا في أزمنة الازدهار الحضاري لأمة من الأمم في إقامة صاحب الدلائل بجرجان لا يبرحها وبلوغه في العلم تلك المكانة التي جعلته يفرغ إلى طلابه ومريديه يتلقون عنه المعرفة في النحو

والصرف والبلاغة والنقد والكلام والجدل وقد ذكر القفطي في: أنباه الرواة " أنه تصدر بجرجان وحثت إليه الرحال وصنف التصانيف الجليلة" . وقال السيوطي في: بغية الوعاة "كان عبد القاهر الجرجاني من كبار أئمة العربية والبيان شافعياً أشعريا" وحفلت كتب التراجم والأخبار والتصنيف بأخبار عبد القاهر الجرجاني من كبار أئمة العربية والبيان شافعياً أشعرياً. وحفلت كتب التراجم والأخبار والتصنيف بأخبار عبد القاهر العلمية وبأسماء مؤلفاته وألمحت إلي بعض أحواله في حياته الشخصية وهي غامضة لا تبين إلا الشكوى منم الزمان وأهله، ولم يكن ثمة ما يثير الاهتمام من تنوع العلاقات الاجتماعية لدى الجرجاني؛ ويروي قدر قليل من الأبيات للجرجاني قيمتها في إظهار معالم من حياته لا في خصائص فنية؛ ولا شك في أن هذا الشعر حصيلة تلقائية طبيعية لعالم أكثر من تداول الأشعار، فالإيقاع يسهل التعامل معه تقطيعاً صوتياً، فترتب أغراض عادية مألوفة دون عمق ولعل عبد القاهر لم يقصد إلي شيء مما يرمي إليه الشعراء.

إن الباحث في بلاغة عبد القاهر ونقده لابد أن يبدأ بدلائل الإعجاز ليعرف معالم نظرية النظم التي بين عليها بحوثه البلاغية.

١. دلائل الإعجاز:

اتجه عبد القاهر في هذا الكتاب إلى إثبات أن بلاغة الكلام تكون في النظم، وإن القرآن معجز بالنظم لا بالصرفة، لذلك نراه يكرر ويعيد الحديث عن النظم ويكثر الأمثلة والشرح ليقرب الفكرة ويقنع بها الناس، بدأه بمدخل تحدث فيه عن مكانة العلم والبيان والشعر والنحو الفصاحة والبلاغة، وبعد أن وضع الأسس العامة لنظريته؛ شرع يتحدث عنها ويفصل القول فيها.

أما المحور الذي أقام عبد القاهر حوله بحثه في "دلائل الإعجاز" فهو نظرية النظم التي حملت صنوفاً من التحليلات والرؤى في كتابات المحدثين، حتى غدت بحاجة إلى قراءة واعية متأنية؛ كيلا يذهب القارئ مذاهب مع هؤلاء، وأولئك ممن يخيل إليهم أنهم يعرضون الأفكار المتضمنة في " النظم"[(١)].

(١) عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، تحقيق د. محمد رضوان الداية، د. فايز الداية، مكتبة سعد الدين، دمشق سوريا، الطبعة الأولى، ١٩٨٣م، ص ١٦.

وقد تجرد في الفصول الأولى من كتابه "دلائل الإعجاز" للاحتجاج لمذهبه في أن العبرة في الفصاحة والبلاغة ليست إلا بالنظم، دون الألفاظ التي هي مجرد خدم للمعاني والكتاب على هذا الوضع من المصنفات البلاغية القيمة، ولعله من خير ما كتب في قضية النظم لكنه بالإضافة لهذا اهتم بالإعجاز بطريق غير مباشر، إذ ينظر في أساليب البلاغة العربية، وفي تقديره أنها الوسيلة إلى فهم الكتاب [١].

مكانته:

يعد عبد القاهر الجرجاني من أئمة اللغة والأدب والنحو [٢]، وله مكانة كبيرة في تاريخ البلاغة ويعد رائد هذا العلم. فقد وضع نظرية التي اشتهر بها وضعاً دقيقاً وخصى بها كتابه دلال الإعجاز فكانت الأولى في علم المعاني وفي مصنفه اسرار البلاغة تناول نظرية علم البيان.

واشتهر الجرجاني بهذين الكتابين، حيث اهتم بها بالفصاحة والبيان ووضوح الألفاظ فضلاً عن الاحكام النقدية العادلة. وابرزت كتبه مكانته النقدية في تاريخ الأدب.

وقد سبق الجرجاني كثير من العلماء في كتاباتهم عن الاعجاز القرآني كالجاحظ والواسطي وأبي عبيدة والرماني والباقلاني، وقد سبق هؤلاء العلماء في طرق عرضه ووضعه المصطلح العلمي الدقيق، ولم يخرج عن نهج من سبقه من علماء سواء نقدهم وعرضه نظرية النظم وهي أصل الاعجاز متبعاً مبدأ العقل والمنطق والشواهد الشعرية.

ويمكن إجماع ما قدم عبد القاهر في كتابه "دلائل الاعجاز" فيما يلي:

أولاً. إنه لا ميزة للألفاظ من حيث هي أصوات مسموعة دون مراعات للسياق المنتظمة فيه، إذ ليس للفظة من قيمة ذاتية في نفسها بمعزل عن السياق الواردة فيه الذي يتمدد من خلاله معناها.

---

(١) عائشة عبد الرحمن، الإعجاز البياني للقرآن ومسائل إبن الأزرق، دراسة قرآنية لغوية وبيانية ـ دار المعارف ـ القاهرة ـ الطبعة الثانية، ١٩٨٤م، ص١٢٢.

(٢) ابن العماد، شذرات الذهب، ج٣، ص ٣٤٠.

ثانياً. القضاء على النظرية الشائعة في النقد العربي لذلك العهد نظرية اللفظ والمعنى ومن ثم القضاء على الفصل المزعوم بين اللفظ وبين معناه أو بين الصورة اللفظية والمحتوى الفكري للعمل الأدبي.

ثالثاً. توظيف المعاني النحوية في السياق لخدمة المعاني العامة للنص الأدبي ولا يمكن الوقوف على معاني النص إلا عن طريق المعنى النحوي.

رابعاً. إن القيمة التي تقدمها الألوان والصور البيانية في التعبير أو السياق لا تكمن فحسب في القيمة الذاتية لهذه الأغراض والوجوه البلاغية وما تؤديه في السياق بقدر ما تعود إلى النظم وما يجب أن يراعي فيه من التميز الواعي بين الفروق الدقيقة للمعاني النحوية.(١)

٢. أسرار البلاغة:-

ويختلف هدف عبد القاهر في الكتاب عن هدفه في الدلائل، فهو لم يؤلفه لغرض ديني أو مسألة تتعلق بالقرآن، فهو ألفه لغاية بلاغية، ووضع الأصول والقوانين وبيان الأقسام، وذكر الفروق بين العبارات والفنون البيانية، وكانت تجمع الكتاب فكرة واضحة هي "إن مقياس الجودة البيانية في نفس متذوقها". وقد وقف في إبراز هذه النظرية وتوضيحها، بعد أن سادت في عصره كثير من القيم الأدبية التي رأى في كثير منها جنوحاً وخروجاً عن الحقيقة. ولذلك نجد موضوعات البيان كالتشبيه والاستعارة والمجاز تسود الكتاب بطابعها، حتى ذهب بعضهم إلى أن أسرار البلاغة في علم البيان في موضوعه الأخير. وليس الأمر كذلك لأنه تحدث فيه عن موضوعات لا صلة لها بعلم البيان، كالسجع والتجنيس والتطبيق، وهي من موضوعات علم البديع. ولكن سيطرت فكرة الصور البيانية هي التي دفعت عبد القادر إلى التحدث عن التشبيه والاستعارة والمجاز بهذه الصورة المفصلة.(٢)

---

(١) سعد سليمان حمودة، البلاغة العربية، دار المعرفة الجامعية، القاهرة، ٢٠٠٧، ص١٧٦.

(٢) الجرجاني، الدلائل، ط١، ص ٤٤٥.

بدأ عبد القاهر كتابه الأسرار بالحديث عن اللفظ والمعنى وبعض صور البديع، كالسجع والتجنيس والتطبيق، ثم تكلم عن الاستعارة، وكان عليه أن يبدأ القول في الحقيقة والمجاز، ولكنه عدل عن ذلك قائلاً:" وأعلم أن الذي يوجبه ظاهر الأمر وما يسبق وما يسبق إلى الفكر أن يبدأ بجملة من القول في الحقيقة والمجاز ويتبع ذلك القول في التشبيه والتمثيل، ثم ذكر الاستعارة عليها ويؤثر بما في أثرها، وذلك في المجاز أعم من الاستعارة والواجب في قضايا المراتب أن نبدأ بالعام قبل الخاص.

إن دراسة عبد القاهر لفنون البلاغة في هذا الكتاب كانت أروع ما كتب، وكانت إلتفافاته وتقسيماته للصورة البديعية لهذا الفن. وقد أثبت عبد القاهر أن الفن البلاغي الواحد يمكن أن يُنظر إليه من جوانب مختلفة، وأن يحلل تحليلاً جديداً اضفى عليه روحاً لم يكن يحسها القارئ قبل ذلك. ولا نجد في كتب البلاغة السابقة تحليلاً كتحليل عبد القاهر، ولا نظرة كنظرته، ولا فهماً كفهمه، وإن بحث فنوناً سبق أن تحدث عنها السابقون، وهذا هو الفرق بين عالم مجدد وآخر مقلد.

ولقد تبوأ الإمام الجرجاني هذه المنزلة الرفيعة في تأريخ البلاغة العربية بأمرين اثنين:

أولهما: أنه اتجه بالبلاغة نحو التقنين، وتحديد المعالم، فكانت له في "دلائل الإعجاز نظرة كاملة في المعاني، وكانت له في " أسرار البلاغة " نظرة كاملة تقريباً في علم البيان.

والأمر الثاني: أنه ألف بين العلم والذوق واستعان بأحدهما على الآخر، فهو في تحليله للشواهد والأمثلة إنما يأخذ بأيدينا ليوقفنا على الجمال بشعورنا وإحساسنا ثم يأخذ بأيدينا ثانية ليقنعنا بصدق شعورنا وإحساسنا بالجمال، إقناع العقل والمنطق بعد إقناع الشعور والإحساس واطمئنان النفس والقلب.

وقد بدا واضحاً أن معظم النقاد العرب القدامى قد ربط بين البلاغة العربية في تراتيبها الأسلوبية، وبين الصورة الشعرية الفنية [1]؛ لما بين تلك وهذي من صلات قوية،

(١) عبد الرحمن فضل أحمد طه، الصورة الفنية للمدينة في الشعر العربي المعاصر، رسالة دكتوراه غير منشورة في النقد والأدب، ٢٠١١م.

ومن أوائل هؤلاء ابوهلال العسكري [١]، فقد ذكر عن البلاغة قائلاً: "البلاغة ما تبلغ به المعنى قلب السامع فتُمَكِّنه في نفسه تَمَكُّنَه في نفسك، مع صورة مقبولة أو معرض حسن" فقد أكد بقوله تأثير الجمال الفني في نفس المتلقي وانتباه حسه وشعوره وحينها يتفهم النص الأدبي ويتذوقه بصورة جيدة.

وقد ذكر ابن رشيق القيرواني أن للبلاغة قدرة على نقل التجربة الشعرية للسامع بصورة حسية مؤثرة، فقد قال: "البلاغة إهداء المعنى إلى القلب في أحسن صورة" [٢].

ولكنني ألمح بوضوح أن الجرجاني هو أكثر من تحدث عن مفهوم الصورة الشعرية في النقد العربي القديم، وزاد على ذلك أنه كان قريباً من هذه الصورة وقرب مفهومها للمتلقي بوضوح، ومنهجه يدلل على ذلك وهو إنما نتاج جمعه بين الألفاظ والمعاني معاً في جودة السبك وحسن التأليف، وأقر هو نفسه بذلك قائلاً إنه استفاد من الجاحظ في مسألة التصوير الفني بقوله: "وليس العبارة عن ذلك بالصورة شيئاً نحن ابتدأناه فينكره منكر، بل هو مستعمل مشهور في كلام العلماء". ويكفيك قول الجاحظ: "وإنما الشعر صناعة، وجنس من التصوير" [٣]. فعبد القاهر الجرجاني يصل إلى حد الإيمان بأن الصورة عنده هي الشعر نفسه بل هي أساس الشعر، فمن خلال دراسته وتعمقه في الصورة الشعرية نبعت قضاياه المهمة كاللفظ والمعنى، وتكرار المعاني لدى الشعراء.

وقد تحدث الجرجاني عن التخييل وما له من آثار في تركيب الصورة الفنية للإبداع الشعري، وإنني ارى أن من أوضح ملامح الصورة الفنية عنده مسألة التأثير والتأثر، فقد جعل للصورة المرئية أثر يساوي الصوت المسموع من مثلما يطرب السامع عند سماعه لنص من نصوص الأدب [٤].

---

(١) أبو هلال العسكري، كتاب الصناعتين، تحقيق أحمد أبو الفضل إبراهيم، ط١، ١٩٨٤م، دار الكتب العلمية: بيروت، ص ١٩.

(٢) ابن رشيق القيرواني العمدة، ج١، ص ٢٠٤.

(٣) الجرجاني، الدلائل، ط١، ص ٤٤٥.

(٤)الجرجاني، أسرار البلاغة، ص ٢٩١.

منهج عبد القاهر الجرجاني، ومكانة اللفظ والمعني عنده

اهتدى عبد القاهر الجرجاني إلى مذهب في العلوم اللغوية كلها بالغ الأهمية، شهد هذا المذهب للجرجاني بعبقرية لغوية فذة لا نظير لها وعلى أساس مذهبه كون مبادئه في "دلائل الإعجاز" و" أسرار البلاغة" وكذلك في الشعر العربي والنثر العربي.

"مذهب عبد القاهر الجرجاني هو أصح وأحدث ما وصل إليه علم اللغة في أوربا لأيامنا هذه، وهو مذهب العالم السويسري فردناند دي سوسير الذي توفي سنة ١٩١٣م"(١).

"ولهذا المنهج قيمة لغوية كبيرة فهو أقرب إلى طبيعة الأدب وهو منهج يخدم اللغة ويسعي إلى تطويرها ومواكبة الصور الأدبية الجديدة ولو توسع عبد القاهر في بعض القضايا؛ واتخذ القصيدة مجالا في تحليله ونقده لخدم النقد العربي خدمة كبيرة ولسبق المعاصرين"(٢).

"وقد أشار المعاصرون إلى هذا المنهج واعتبروه من المناهج التي ينبغي الأخذ بها في تحليل اللغة ودراسة الأدب. قال الدكتور محمد مندور : "أنه يستند إلى نظرية في اللغة، أري فيها ويري معي كل من يمعن النظر أنها تماشي ما وصل إليه علم اللسان الحديث من آراء، ونقطة البدء نجدها في آخر "دلائل الإعجاز" حيث يقرر المؤلف ما قرره علماء اليوم اللغة ليست مجموعة من الألفاظ مجموعة من العلاقات وعلى هذا الأساس بني عبد القاهر كل تفكيره اللغوي"(٣).

"وقال الدكتور محمد زكي عشماوي:"وهذا المنهج الذي يفسر القيمة في الأدب بما يكون بين اللغة من علاقات هو المنهج الذي تلتقي فيه فلسفة اللغة بفلسفة الفن، والذي يري أن التباين في الصياغة لا يوجد إلا إذا وجد التباين في الإحساس، ودعوة عبد القاهر في التزام المنهج اللغوي في دراسة الأدب ونقده تلتقي مع وجهة النظر الحديثة.

---

(١) أحمد مطلوب، عبد القاهر بلاغته ونقده، ص٨٥

(٢) أحمد مطلوب، عبد القاهر بلاغته ونقده، ص٨٥

(٣) المرجع السابق، ص ٨٤

فهذا الشاعر الناقد ت.س. اليوت يعتقد انه من الهام الشاعر أن يعرف أكثر شيء ممكن عن اللغة والسبب الرئيسي في هذا انه يؤمن بان كل تطور حيوي في اللغة إنما هو تطور في الشعور كذلك، في هذا لا ينفصلان والشاعر لا يستطيع أن يوحي إلى غيره بأنه قد غرق في حومة اشد الأشياء البدائية والمنسية وان فكره وعواطفه عادت إلى الأصل ورجعت بمعني للحياة أعمق إلا بإطلاق الإمكانات السحرية الكامنة في الكلمات"(١).

"ولم يكن مسرفًا في الابتكار بحيث يقطع الصلة بينه وبين المتقدمين وإنما تصرف خاصاً ليوازن بين المحاكاة والابتكار" (٢).

ولقد تميز عبد القاهر بملكة ذوقية ظهرت على عمله البلاغي من حيث اختيار الشواهد والنصوص وتناولها بالتحليل والبيان. وبنظرة واحدة إلى تحليلات عبد القاهر نعلم أنه كان يكتب بروح أدبية فذة وعقلية نقدية متميزة.

ولذلك نجده يرجع الحسن والقبح في بعض الأحيان إلى الذوق والمزاج واللذة ونحو ذلك. إن مثل هذه الثقافة الموسوعية والموهبة النقدية والأدبية عندما اجتمعت أخرجت لنا كتاب الدلائل الذي كان نقلة تاريخية لعلم البلاغة والنقد جميعا. لاسيما ان البلاغة العربية لها ارتباط وثيق بالقرآن الكريم في تفسيره وإعجازه (٣).

"فمنهج عبد القاهر هو منهج النحو الذي لا يقف عند حدود الحكم بالصحة والفساد، بل يتعداه إلى البحث في العلاقات التي تقيمها اللغة بين الكلمات، والي اجتلاء معانيها، وكشف غامضها، وبذلك اتسع أفق النحو وغنيت مادته، ودخل فيه كل ما يراعي في النظم من تقديم وتأخير، وما إليه من أسباب الجودة وعدمها، مما استقر عليه العرف فيما بعد يجعلها من علم المعاني، ومن ثم فان الأساس عنده النحو، على أن يشمل النحو علم المعاني، وأن يتجاوز القواعد النحوية إلي الجودة الفنية" (٤).

---

(١) أحمد مطلوب عبد القاهر بلاغته ونقده، ص ٨٤

(٢) عبد القادر حسين، أثر النحاة العرب في البحث البلاغي، الطبعة الثانية، دار قطري بن الفجاءة للنشر والتوزيع، قطر، الدوحة، ١٩٨٦م.ص ٤٠٣

(٣) أحمد مطلوب، عبد القاهر بلاغته ونقده، ص٨٥

(٤) عبد القادر حسين، أثر النحاة العرب في البحث البلاغي، الطبعة الثانية، دار قطري بن الفجاءة =

"وليس صحيحاً أنه ظل أسير النحو يقيس الشعر والكلام بمقاييسه ويقدره على معاييره وإنما حلق بعيداً واتخذ التصوير الأدبي كله مجالاً لتطبيق نظريته وإن قصر في بعض الأمور التي لا ينبغي ألا تتخذ دليلاً على قصوره ومنفذاً يلجا إليه المعجبون بالنظريات"(١).

"ولما كان منهج الجرجاني يستند على الفحص الشديد للآراء قبل قبولها، فانه مازال كذلك حتى هدم أشهر الآراء وأكثرها شيوعاً وانتشاراً، ثم أعاد بناء علوم البلاغة والإعجاز حتى غدت على يديه صروحاً شامخة مشيدة بما وضع فيهما من أسس موضوعية وما أرسى لهما من قواعد علمية رصينة داحضاً بذلك دعاوي اللفظيين وحججهم التي زحموا بها الآفاق"(٢).

"وقد حاول بعض الدارسين ربط هذه الفكرة بأرسطو فقال الدكتور إبراهيم سلامة:"هذا العلم الجديد الذي وضعه عبد القاهر بلاغي لا نحوي وإن كان في أصله نحويا فلأن شرط البلاغة صحة التركيب التي تترتب عليها صحة المعني. وهنا يتلاقى النحاة مع المناطقة ويتلاقى عبد القاهر مع أرسطو الذي دون للنحو وهو يكتب في بلاغة الخطابة وبلاغة الشعر"(٣).

"وقد دخل المنطق الأرسطي الي العالم الإسلامي في خلافة بني العباس. وقد كان ابن المقفع الأديب المشهور أول من ترجم هذا الفن للخلفاء في الملة الإسلامية. وقد اقتفي أثره حنين ابن إسحاق والجوهري وأبو عثمان الدمشقي ويوحنا البطريق وابن الناعمة الحمصي وغيرهم. ثم اخذ الاهتمام به يزداد يوما بعد يوم عند المسلمين، حتى صار لهذا

=

للنشر والتوزيع، قطر، الدوحة، ١٩٨٦م، ص ٤٠٣

(١) المرجع السابق، ص ٤٢٣

(٢) جمال الدين عبد العزيز شريف، نظريات الإعجاز القرآني (دراسة في النظريات الكبرى وأثر الواقع عليها)، جامعة الجزيرة، معهد إسلام المعرفة، سلسلة الرسائل الجامعية(٣)، ص ٢٥٩

(٣) أحمد مطلوب، عبد القاهر بلاغته ونقده، ص ٨٦

المنطق بين المسلمين أنصار ومؤيدون ينافحون عن قضاياه ويدافعون عن حياضه ولكن في مقابل الأنصار داخل الملة الإسلامية برز أعداء أشداء لهذا المنطق"(١).

"إن النظم لم يكن مجهولاً قبل عبد القاهر، وهو يعترف صراحة بأن العلماء قد سبقوه الي التنويه بالنظم وعلو شأنه حين يقول:"وقد علمت أطباق العلماء على تعظيم شان النظم، وتفخيم قدره، والتنويه بذكره، وإجماعهم أن لا فضل مع عدمه كما نراه ينقل عن المبرد فروق الخبر، واختلاف النظم باختلافها حين سأله الكندي عن الفرق بين "عبد الله قائم"، "وإن عبد الله قائم"، فيخبر أن لكل معني مخالفا للآخر، واختلاف المعني مترتب على اختلاف النظم. وإذا أصبح من الثابت أن عبد القاهر لم يبتكر نظرية النظم بمعني انه خلقها من العدم فإنها تنسب إليه بفضل تطبيقها على كثير من أبواب البلاغة التي تدخل في علم المعاني، أو البيان، أو البديع"(٢).

"وقد استفاد المتأخرون من هذه النظرية واعتمد عليها الزمخشري في تفسيره لكتاب الله واتخذها أساساً في تحليل الآيات وحاول ابن الأثير أن يأخذ بهذه النظرية ولكن عنايته بالصنعة والألفاظ شغلته فانصرف إليها وإن كان يردد "حسن التأليف هو أن تضع الألفاظ في مواضعها وتجعل في أماكنها وسوء التأليف بخلاف ذلك" (٣).

"وبعد هذا فقد تأثرت البلاغة العربية بعبد القاهر تأثرا واضحا فقد درست آراؤه وكانت مثار المناقشات بين العلماء موافقين ومخالفين، ويعد عبد القاهر مبتكرا علم المعاني فلم يكن يعرف قبله، وفضله في مسائل البيان يرجع إلى محاولته تحديد مسائله وذكر أقسامه ومعرفة سرّ بلاغته والوقوف عند أمثلته مستوحيا سرّ جمالها وذلك مجتمعا أمر لم يقم بلاغي قبل عبد القاهر".(٤)

" دار خلاف حول تأثر الجرجاني أو عدم تأثره بالفكر الأجنبي وخاصة اليوناني، وربما رجع ذلك الاختلاف الي ظاهرة تتعلق بمنهج البحث العلمي في مؤلفات الجرجاني، هي

(١) جمال الدين عبد العزيز شريف، المرجع السابق، ص ٢٧٥
(٢) عبد القادر حسين، أثر النحاة العرب في البحث البلاغي، ص ٤٠٤
(٣) أحمد مطلوب عبد القاهر بلاغته ونقده، ص ٨٥
(٤) ينظر عبد القاهر الجرجاني وجهوده في البلاغة العربية، أحمد بدوي، ص٣٦٧

عناية الجرجاني في جميع مؤلفاته بذكر عدد من المصادر العربية التي استقي منها معلوماته وأفكاره، لكنه لم يذكر أي مصدر من المصادر الأجنبية، ولم يشر الي أي تراث أجنبي أو منهج نقدي أجنبي أعانه علي تنقية التراث العربي وغربلته وتوجيهه الوجهة المثلي، سواء أكان ذلك في الجانب البلاغي أم الجانب البلاغي أم الجانب النحوي أو الجانب النقدي" (١).

وتناول الدكتور طه حسين عبد القاهر الجرجاني بالبحث في تمهيد كتاب " نقد النثر" لقدامة بن جعفر تحت عنوان:" البيان العربي"، وهو يرى أنه تم على يده التوفيق بين البيانين: العربي واليوناني بل أقر في نهاية بحثه أن من يقرأ "دلائل الإعجاز" لا يسعه" إلا أن يعترف بما أنفق عبد القاهر من جهد صادق خصب، في التأليف بين قواعد النحو العربي وبين آراء أرسطو العامة في الجملة والأسلوب والفصول، وقد وفق عبد القاهر فيما حاول توفيقا يدعو إلى الإعجاب. وإذا كان الجاحظ هو واضع أساس البيان العربي حقا فعبد القاهر هو الذي رفع قواعده وأحكم بناءه (٢)

" اذا كان الدكتور طه حسين قد ادعي أن الجرجاني – هذا العالم النحوي المتميز – قد بني نظريته في الإعجاز بما اقتبسه من المنطق الأرسطي؛ فلا ريب أن الفكر المنطقي عموما قد كان موجوداً قبل فن المنطق وقبل أرسطو وتقسيماته وقوانينه التي وضع؛ وذلك لأن الذهن البشري – بطبيعته – يسلك سبيلا منطقياً مخصوصاً؛ إذ أنه مجبول على إتباع طريقة معينة في التفكير يشترك فيها كل البشر ولا تقتصر على أمة دون أخري"(٣).

(١) محمد الحسين عبد القادر (ابو سم)، أثر الثقافات الأجنبية على النقد العربي في العصر العباسي، دار جامعة الخرطوم للنشر، الطبعة الأولي، ١٩٩٨م، ص٤٥/٥٥.

(٢) نقد النثر، قدامة بن جعفر، المكتبة العلمية، بيروت. ص ٣٠.

(٣) د. جمال الدين عبد العزيز شريف، ص ٢٧٤/٢٧٥.

"ولابد من بيان العلاقة الوثيقة بين المنطق في هذا المضمار بصورة أكثر وضوحاً حتى نستطيع أن نفهم – على الأقل-الطريق الذي سلكه الدكتور طه حسين في جعل الجرجاني تلميذاً صغيراً لأرسطو"(١).

أثر منهج الجرجاني في البلاغيين والمفسرين:

تأثر بمنهج الجرجاني عدد من البلاغيين منهم الزمخشري "ت٥٣٨هـ" والفخر الرازي "ت٦٠٦هـ" والسكاكي "ت٦٢٦هـ" وأبن الزملكاني "ت٦٥١هـ" وأبي الأصبع المصري "ت٦٥٤هط والخطيب القزويني "ت٧٣٩هـ" والعلوي صاحب الطراز "ت٧٤٩هـ".

"فمعظم اللاحقين أم لم يكن جميعهم قد تأثر إذن بعبد القاهر في بلاغته، واعتمد عليه، سواء في إطلاقه للأحكام، أو التحليلات، أو الشواهد، أو في نظرته الكلية للنظم، وعلاقته بالنحو ومن ثم فإن خطره جليل، وأثره بعيد ومن المؤكد الذي لا يقبل بادرة من شك إن البلاغة بعد عبد القاهر قد أصيبت بالجفاف والعقم، والعناية بالشكليات، والتجرد من رواء الفن، ومتعة الجمال، وأفسدها المتأخرون إفساداً بما أضافوه إليها من تعقيدات فلسفية وأحكام أصولية، واقيسة منطقية، ولم يعد للنص قيمة، وإنما القيمة في إثبات القاعدة وتحديدها تحديدا دقيقاً، حتي يصبح التعريف جامعا مانعا، بل لم يعد لها قيمة فنية أو أدبية إذ لم يجدوا ما يضيفونه الي البلاغة، وفنها الراقي وبذلك توقفت في موضعها، بل انحرفت عن مدارها الفني الي مدار أخر هو مدار المنطق والأصول"(٢).

موقف عبد القاهر الجرجاني من مسألة اللفظ والمعني:

يمكن أن نعتقد بادئ ان نظرية عبد القاهر الجرجاني لها أساسها الديني المتجدد في القناعات العقائدية والثقافية والحضارية المختلطة بعلوم ومعارف أصيلة تقوم على بنية متينة في اللغة والنحو والبلاغة، وإذا تذوقنا قراءتها بتؤدة وجدنا أن مواصفات الكلام البليغ انطلاقا من هذا الإطار، وبحسب ما كان يعتبر في ذلك الوقت مظهر جمالي وأدبي رقيق يستدعي العناية بقضية اللفظ والمعنى، وهذه القضية التي تمثل أساسا راسخاً في

(١) المرجع نفسه، ص٢٧٦

(٢) د. حسين عبد القادر، أثر النحاة العرب في البحث البلاغي، ص ٤٥٠/٤٥١

المحاولات النقدية التي عرفها النقد الأدبي القديم والتي تنشد تأسيس رأي في بناء النصوص الأدبية.

ومن هنا يصح علينا الاعتقاد في فكرة عبد القاهر في اللفظ والمعني والوفاء بشروط رأيه في النظم ويمكن الاعتماد على مستويين في إطار مسألته على المعنى أحدهما لغوي عام والآخر مستوى أدبي خاص.

ومهما يكن من أمر- وإن اختلف الأدباء والبلغاء والنقاد في "اللفظ" و "المعني" وفي أيهما تكمن البلاغة، وأيهما مقدم علي صاحبه -فقد انقسموا في ذلك الي فريقين؛ أحدهما يغالي في أمر المعني، ويعتبره الأساس وهم "الأُسلوبيون" وقد ألقوا دور اللفظ في البلاغة، أما الفريق الآخر فقد غالى في اللفظ واعتبره الأساس وهؤلاء هم "اللفظيون" وألغوا دور المعنى في البلاغة".[١]

"وقد قرر الجاحظ "ت٢٥٥هـ" [٢] وهو من أقدم الذين اِهتموا بهذه المسالة، واهتم بالفصاحة اهتماما كبيراً؛ لأنه يرى أن العناية بالألفاظ جديرة بالاهتمام.

فقد تكلم عن تنافر الحروف وملاءمة الألفاظ وتماثلها ودفعته هذه العناية باللفظ الي أن يقول "المعاني مطروحة في الطريق يعرفها العجمي والعربي والبدوي والقروي والمدني وإنما الشأن في إقامة الوزن وتخير اللفظ وسهولة المخرج وكثرة الماء، وفي صحة الطبع وجودة السبك فإنما الشعر صناعة وضرب من النسيج وجنس من التصوير"[٣]

---

(١) رحاب صالح عبد الرحمن، الشواهد القرآنية البلاغية في كتاب دلائل الإعجاز، رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة الخرطوم، ٢٠٠٥م، ص١٨٣.

(٢) والجاحظ اِسمه أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب مولى القلمَّس بن قلع الكناني الفقمي أحد النسابين، وكان جد الجاحظ أسود يقال له فزارة وكان جمالاً لعمر بن قلع الكناني وهو من أهل البصرة، كان حاد الذكاء سريع الخاطر والحفظ، شاع ذكره وعلى قدره في البيان والعربية اِستغنى عن الوصف. قال عن نفسه (أنا أسن من ابي نواس بسنة ولدة في أول سنة خمسين ومائة وولد هو في آخرها.) وسمي الجاحظ لبروز عينيه مع لحم أحمر يتغشاهما مما يجعله ذميم الخلقه لكنه ظريف فكه الفؤاد لطيف الظل. مرض بالفالج ومات عام (٢٥٥ هـ).

(٣) الجاحظ البيان والتبيين.

فهو رأس الأمر عند الجاحظ هو التخير الجيد للألفاظ وحسن صياغتها بصورة تناسب صناعة الشعر "٣٩٨-٤٦٣"و تحسن تصوير كل معنى في موقعه.

"ويقول ابن رشيق:"اللفظ جسم، روحه المعني، وارتباطه به كارتباط الروح بالجسم ويضعف ويقوي بقوته، فإذا سلم المعني واختل بعض اللفظ؛ كان نقصا للشعر وهجنه"(١)

فهو يرى أن الشعر يتم ويستحسن فيه المعنى القوي في الروح السليمة، فالجسد إذا اشتكى منه عضو تداعت أجزائه جراء هذه الشكوى كذلك. وفي رأي أن ابن رشيق قد أحسن وأجاد في عقد التشبيه ما بين اللفظ بالجسم والروح بالمعنى.

"ونجد فكرة الفصل بين اللفظ والمعني واضحه عند البلاغيين والنقاد فكان ابن سنان الخفاجي "ت٤٦٦هـ" يعاصر ابن رشيق، ولم يأخذ بهذا المسلك الذي سلكه معاصروه، بل عند تحديده مقاييس حسن الكلام عني عناية كبيرة باللفظ المفرد ووضع له شروطا حصرها في ثمانية أشياء أن يكون تأليف تلك اللفظة من حروف متباعدة المخارج، وأن نجد لتأليف اللفظة في السمع حسناً ومزية علي غيرها، وإن تساويا في التأليف من الحروف المتباعدة، وأن تكون الكلمة غير متوعرة وحشية، وأن تكون غير ساقطة عامية، وأن تكون جارية علي العرف العربي الصحيح غير شاذة". وهكذا نرى أنه عايش ابن رشيق القيرواني لكنه أخذ مسلك اللفظيين الذين تركوا دور المعنى في البلاغة.

ورأيه وإن-لا يكون قد عبّر به عن هدف آخر لم يحب ذكره، فإنه إذا أورده وهو لا يقصد به ذلك الهدف يراه مستقبحاً وإن جاءت الألفاظ معتدلة غير كثيرة الحروف صغيرة في الموضع الذي وضعت فيه وإن عبر بها عن شيء لطيف خفي أو قليل أو ما يقرب من ذلك فإنها تكون حسنه حينئذٍ.

ولما كانت المعاني بمثابة الروح للألفاظ، ولما كانت العلاقة التي تربط بينهما وثيقة فقد كان كل منهما أمرا ضروريا للآخر؛ إذ أن المعاني النفسية محجوبة مكنونة لا تظهر ولا تبين إلا بما يدل عليها.

(١) ابن رشيق القيرواني، العمدة في نقد الشعر وتمحيصه، أبوعلي الحسن، تحقيق عفيف نايف حاطوم، دار صادر بيروت لبنان – ط١ – (٢٠٠٣م) (١٤٢٤هـ)، ص١١١.

يقول الإمام الغزالي:"ما يسميه الناس: كلام النفس وحديث النفس- هو العلم بنظم الألفاظ والعبارات وتأليف المعاني المعلومة علي وجه مخصوص؛ فليس في القلب إلا معان معلومة؛ وهي العلوم"وهذا بالضبط هو جوهر نظرية عبد القاهر الجرجاني في البلاغة والإعجاز، تلك النظرية التي حاولت دراسة المعاني من خلال النظوم والتراكيب؛ فلم يكن لها من مثيل ولا نظير في هذا المضمار".[١] والحق أن نظرية الجرجاني متفردة لا يماثلها أو يناظرها ما هو في مضمارها في هذا الشأن.

"فقد أزعجه أولاً أن يري ذلك التقدير للألفاظ وتقديمها على المعاني عند من سبقه من النقاد، حتى أنهم جعلوا للفظة المفردة مميزات وصفات لم يستطع أن يتقبلها ذهنه المتمرس بتفاوت الدلالات، وقيمة التعبير عن ذلك التفاوت وكان يحس بوعي نقدي متفرد لأن ثنائية اللفظ والمعنى التي تبلورت عند ابن قتيبة قد أصبحت خطراً على النقد والبلاغة معاً."[٢].

أما على المستوي النقدي فان الانحياز الي اللفظ قتل الفكر الذي يعتقد الجرجاني انه وراء عملية أدق في الوقوف عند ميزة دون أخري".

وأنا اعتقد ذلك جداً لأن اللفظ المفرد لا معنى له بذاته منفرداً إلا إذا دخل في سياق فأدى فبه وظيفة. لأن الدلالات لا تظهر إلا من خلال تأمل علاقة الألفاظ بالمعاني السابقة واللاحقة مرتبطة ببعضها في ترتيب حسن تقبله القريحة الملمه بقوالب اللغة العربية ومألوفها.

وقد تحدث أرسطو قبل الجرجاني عن قضية الربط بين اللفظ والمعني حديثا ضافيا أكد فيه أهمية الصلة بين الألفاظ معانيها في الجمل، بحيث لا يقتصر الأسلوب عن المعني المراد فيكون مقتضبا، وألا يطول دون فائدة فيؤدي الي الغموض لأن كلا الأمرين يضران بدقة الأسلوب ولهذا أشار أرسطو الي أن الكلمات ليست في دلالاتها على المعني حيث قال: "

(١) جمال الدين عبد العزيز شريف، نظريات الإعجاز القرآني، ص ٢٧٤.

(٢) إحسان عباس، ص٤٢٢.

فمن الكلمات ما هي أصدق في وصف الشيء من كلمات أخري وألصق بالمعني، أو أكثر تمثيلاً له أمام العيون" (١).

"لقد كان الجرجاني من أنصار النظم والصناعة حيث إن الصورة الأدبية يعبر عنها بالصياغة فلم يكن من الذين فضلوا المعني على اللفظ ولا من فضل اللفظ على المعني "سبيل المعني الذي يعبر عنه سبيل الذي يقع التصوير والصوغ فيه، كالفضة والذهب، يصاغ منها خاتم أو سوار. فكما أنه محال إذا أنت أردت النظر في صوغ الخاتم أو في جودة العمل ورداءته أن تنظر الي الفضة الحاملة لتلك الصورة، أو الذهب الذي وقع فيه العمل وتلك الصيغة، كذلك محال إذا أردت أن تعرف مكان الفضل والمزية في الكلام أن تنظر في مجرد معناه"(٢).

ويتناول الدكتور محمد غنيمي هلال في كتابه " النقد الأدبي الحديث "قضية اللفظ والمعنى عند عبد القاهر ويؤكد في النهاية قائلا:" ونعتقد أن عبد القاهر لم يقر لمن رجحوا المعنى على اللفظ، على نحو ما شرحنا من آرائهم فيما سبق، بل كان من أنصار الصياغة من حيث دلالة هذه الصياغة على جلاء الصورة الأدبية"(٣)

مكانة اللفظ عند عبد القاهر:

"وجد عبد القاهر أن بعض النقاد والبلاغيين أسرف في تعظيم اللفظ ولذلك وقف يقاوم هذا التيار ويرد على اللفظيين وشبهاتهم وفساد ذوقهم في فهم الكلام ويصفهم بأوصاف شتي"(٤).

"فرأي أن الانحياز للفظ قتل الفكر فقرر أن الألفاظ لا تتفاضل من حيث هي ألفاظ مجردة ولا من حيث هي كلمة مفردة. وأن الألفاظ تثبت لها الفضيلة وخلافها في ملائمة معني اللفظة لمعني التي تليها، أو أشبه ذلك مما لا تعلق له لصريح اللفظ ومما يشهد لذلك

(١) محمد الحسين عبد القادر "ابوسم" أثر الثقافات الأجنبية على النقد العربي في العصر العباسي، دار جامعة الخرطوم للنشر الطبعة الاولي، ١٩٩٨م، ص٥٩/٦٠.

(٢)الجرجاني، دلائل الإعجاز-عبد القاهر الجرجاني، تحقيق: د. محمد عبد المنعم خفاجة، ص١٩٦.

(٣) النقد الأدبي الحديث، محمد غنيمي هلال، دار الثقافة، بيروت، ص ٢٦٨.

(٤) أحمد مطلوب، عبد القاهر بلاغته ونقده، ص ٩٥.

أنك تري كلمة تروقك وتؤنسك في موضع، ثم تراها بعينها تثقل عليك وتوحشك في موضع آخر"[١]

"كما أنه جعل الألفاظ خدم المعاني والمتصرفة في حكمها، والمعاني هي المالكة سياستها، والمستحقة طاعتها، فمن نصر اللفظ على المعني كمن أزال الشيء عن جهته وأحاله عن طبيعته، وذلك مظنة الاستكراه، وفيه فتح أبواب العيب، والتعرض للشين ولهذه الحالة كان كلام المتقدمين"[٢].

ويؤكد هذه الفكرة مرة أخري في كتابه دلائل الإعجاز فيقول: "وأنك إذا فرغت من ترتيب المعاني لم تحتج الي أن تستأنف فكرا في ترتيب الألفاظ، بل تجدها تترتب لك بحكم انها تخدم للمعاني، وتابعة لها، ولاحقة بها". [٣]

يستحسن عبد القاهر اللفظ بشروط في داخل التعبير وهي:

١. حسن تلاؤم معني اللفظة مع معني الألفاظ المجاورة لها.
٢. أن يراعي ترتيب المعاني في النفس ومن ثم اختيار الألفاظ الدالة عليها.

وفيما سبق يقول الجرجاني:"فلو كانت الكلمة إذا حسنت، حسنت من حيث هي لفظ وإذا استحقت المزية والشرف واستحقت ذلك في ذاتها وعلى انفرادها دون أن يكون السبب في ذلك حال لها مع أخواتها المجاورة لها في النظم لما اختلف بها الحال ولكانت إما تحسن أبداً أو لا تحسن أبداً". [٤]

وأكد الجرجاني أن اللغة ما هي إلا علاقة بين الألفاظ وليس هي علاقة تقوم بين الألفاظ المجردة فقال: اعلم أن الألفاظ المفردة التي هي أوضاع اللغة لم توضع لتعرف معانيها في أنفسها ولكن لان يضم بعضها الي بعض فيعرف فيما بينها فوائد"[٥]، وبذلك

---

(١) دلائل الإعجاز، ص ٩٣

(٢) أسرار البلاغة، عبد القاهر الجرجاني، ت: محمد الفاضلي، المكتبة العصرية، بيروت، ١٤٢٤هـ

(٣) دلائل الإعجاز، ص٩٩

(٤) دلائل الإعجاز، ص٩٤

(٥) دلائل الإعجاز، ص٤٢٣

حرص الجرجاني على أهمية الصلة بين الألفاظ التي تقوم عليها اللغة وليس الألفاظ المجردة.

مكانة المعنى عند عبد القاهر:

ليس صحيحاً أن الجرجاني انتصر للمعاني وأهمل الألفاظ إذ يقول:"اعلم أن الدواء الدوى والذي أعيا أمره في هذا الباب غلط من قدم الشعر بمعناه وأقل الاحتفال باللفظ، وجعل لا يعطيه من المزية أن هو أعطي إلا ما فضل عن المعني يقول ما في اللفظ لولا المعني وهل الكلام إلا بمعناه فأنت تراه لا يقدم شعراً حتى يكون قد أودع حكمة أو أدباً واشتمل على تشبيه غريب ومعني نادر"(١).

وبذلك أكد الجرجاني أن لا مزية للمعني دون الصياغة وبذلك لا يكون للمعني فضل علي اللفظ حتى لو كان المعني يشتمل على الحكمة أو الأدب أو معني نادر أو تشبيه غريب.

ولا يكون لأحدي العبارتين مزية على الأخرى حتى يكون لها في المعني تأثير لا يكون لصاحبتها" (٢) "وسبيل هذه المعاني سبيل الأصباغ التي تعمل منها الصور والنقوش. فكما انك تري الرجل قد تهدي في الأصباغ التي عمل منها الصورة والنقش في ثوبه الذي نسج الي ضرب من التخير والتدبر في أنفس الأصباغ وفي مواقعها ومقاديرها وكيفية مزجه لها وترتيبه إياها الي ما لم يتهد إليه صاحبه فجاء نقشه من اجل ذلك أعجب وصورته اغرب كذلك حال الشاعر والشاعر في توخيهما معاني النحو ووجوهه" (٣).

نجد عبد القاهر قد خطأ المنحازين الي جانب المعني بشدة لا تقل عن شدته في تخطئته من ذهبوا الي إبراز مميزات اللفظة المفردة. لكن عند البحث عن الحقائق نجد أن جميع البلاغيين المتفهمين قد عابوا هذا المذهب، حتى قال الجاحظ قولته المشهورة "المعاني مطروحة في الطريق...." (٤)

---

(١) دلائل الإعجاز، ص٢٢٢

(٢) دلائل الإعجاز، ص٢٢٧

(٣) دلائل الإعجاز، ص ٩٢

(٤) الجاحظ، الحيوان، ج٢، ص ١٣١.

الجمع بين اللفظ والمعني:

أنكر عبد القاهر أن يكون الجمال في اللفظ فقط أو في المعني فقط. وأكد أن الجمال يكمن في نظم الكلام. واستطاع أن يثبت الوحدة بين اللفظ والمعني مستخدما أساليبه الجدلية فوضح كثير من الغموض للنقاد في معاني النقد.

ووضع الجرجاني نظرية تجمع بين اللفظ والمعني حين قال:"المعاني تكون تبعاً للألفاظ في ترتيبها، لكان محالاً أن تتغير المعاني، والألفاظ بحالها لم تزل على ترتيبها، فلما رأينا المعاني قد جار فيها التغير من غير أن تتغير الألفاظ وتزول عن أماكنها، علمنا أن الألفاظ هي التابعة والمعاني هي المتبوعة"(١).

وأنكر أن "تتفاضل الكلمتان المفردتان من غير أن ينظر الي مكان تقعان فيه من التأليف والنظم بأكثر من أن تكون حروف هذه اخف وامتزاجها أحسن، ومما يكد اللسان ابعد وهل تجد احد يقول: هذه اللفظة فصيحة إلا وهو يعتبر مكانها من النظم وحسن ملائمة معناها لمعني جاراتها وفضل مؤانستها لا خواتها"(٢).

"لقد لجاء عبد القاهر كثيرا وهو يشرح هذه الفكرة حول "الصورة" المجتمعة من اللفظ والمعني الي التمثيل عليها ومقايستها بعملية الصياغة أو بالوشي وإلا بريسم ولكنه كان في كل مرة متنبها الي ما تجره هذه المقايسة من تضليل"(٣).

ردوده على من انتصر للفظ أو المعني:

اخذ عبد القاهر على عاتقه الرد بالحجج والبراهين على من فضل اللفظ عن المعني. فاثبت لمن نصر اللفظ وقدمه على المعني بان "الألفاظ لا تتفاضل من حيث هي ألفاظ مجردة ولا من حيث هي كلم مفردة. وان الألفاظ تثبت لها الفضيلة وخلافها في ملائمة معني اللفظة لمعني التي تليها أو ما أشبه ذلك مما لا تعلق له بصريح اللفظ. ومما يشهد

---

(١) دلائل الإعجاز، ص٢٨١

(٢) دلائل الإعجاز، ٥٢/٥٣

(٣) إحسان عباس، تاريخ النقد الأدبي عند العرب، ص٤٢٥.

لذلك أنك تري الكلمة في موضع تروقك وتؤنسك في موضع ثم تراها بعينها تثقل عليك وتوحشك في موضع آخر كلفظ الأخدع في بيت الحماسة من "الطويل":

تلفت نحو الحي حتى وجدتني وجعت من الإصغاء ليتا واخدعا

وبيت البحتري "الطويل":

وإني وإن بلغتني شرف الغني وأعتقت من رق المطامع أخدعي

فإن لها في هذين المكانين ما لا يخفي من الحسن. ثم إنك تتأملها في بيت أبي تمام "من المنسرح"

يا دهر قوم من أخدعيك فقد أضججت هذا الأنام من خرقك

" فتجد لها من الثقل على النفس ومن التنغيص والتكدير أضعاف ما وجدت هناك من الروح والإيناس والبهجة". (١)

ويرد علي الجاحظ الذي جعل الكلام في طبقات، وعلى كل من زعم أن الفصاحة تكون في التلاؤم اللفظي فيقول:"أنا إن قصرنا صفة الفصاحة علي كون اللفظ كذلك وجعلناه المراد بها لزمنا أن نخرج الفصاحة من حيز البلاغة ومن تكون نظيرة لها". (٢)

"فهل تجد أحداً يقول: هذه اللفظة فصيحة إلا وهو يعتبر مكانها من النظم وحسن ملائمة معناها لمعني جاراتها وفضل مؤانستها لأخواتها وهل قالوا: لفظة متمكنة ومقبولة وفي خلافه: قلقة ونابية ومستكرهة إلا وغرضهم أن يعبروا بالتمكن عن حسن الاتفاق بين هذه وتلك من جهة معناهما وبالقلق والنبو عن سؤ التلاؤم. وأن الأولي لم تلق بالثانية في معناها وأن السابقة لم تصلح أن تكون لفقا للتالية في مؤداها". (٣)

فالحاصل هو "أن الفصاحة والبلاغة وسائر ما يجري في طريقهما أوصاف راجعة الي المعاني والي ما يدل عليه بالألفاظ دون الألفاظ أنفسها لأنه إذا لم يكن في القسمة إلا المعاني والألفاظ وكان لا يعقل تعارض في الألفاظ المجردة إلا ما ذكرت لم يبق إلا أن تكون المعارضة معارضة من جهة ترجع الي معاني الكلام المعقولة دون ألفاظه المسموعة ولا

(١) دلائل الإعجاز، ص٥٤.

(٢) دلائل الإعجاز، ٦٢.

(٣) دلائل الإعجاز، ص٢٠٢.

يغرنك قول الناس: قد أتي بالمعني بعينه واخذ معني كلامه فأداه على وجهه فإنه تسامح منهم. والمراد أنه أدي الغرض".[١]

ويذكر عبد القاهر خطأ الناس في فهم كلام المتقدمين، ذلك أنهم حين رأوا القدامي يفردون اللفظ عن المعنى، "وراهم قد قسموا الشعر فقالوا: إن منه ما حسن لفظه ومعناه ومنه ما حسن لفظه دون معناه ومنه ما حسن معناه دون لفظه. ورأوهم يصفون اللفظ بأوصاف لا يصفون بها المعني، ظنوا أن اللفظ من حيث هو لفظ حُسناً ومزية ونبلاً وشرف وأن الأوصاف التي نحلوه إياها هي أوصافه على الصحة" .[٢]

"وذهبوا عما قدمنا شرحه من أن لهم في ذلك رأياً وتدبيراً وهو أن يفصلوا بين المعني الذي هو الغرض وبين الصورة التي يخرج فيها فنسبوا ما كان من الحسن والمزية في صورة المعني الي اللفظ".[٣]

ورد شبهتهم في أن المعاني لا تتزايد وان الذي يتزايد هو الألفاظ فيقول: "وهذا كلام إذا تأملته لم تجد له معني يصح عليه غير أن تجعل تزايد الألفاظ عبارة عن المزايا التي تحدث من توخي معاني النحو وأحكامه فيما بين الكلم لان التزايد في الألفاظ من حيث هي ألفاظ ونطق لسان محال".[٤]

ورد شبهة من نصر المعني وأهمل اللفظ فيقول : "اعلم أن الداء الدوى والذي أعيا أمره في هذا الباب غلط من قدم الشعر بمعناه واقل الاحتفال باللفظ، وجعل لا يعطيه من المزية إن هو أعطي إلا بمعناه واقل الاحتفال باللفظ، وجعل لا يعطيه من المزية أن هو أعطي إلا ما فضل عن المعني. يقول: ما في اللفظ لولا المعني وهل الكلام إلا بمعناه فأنت تراه لا يقدم شعراً حتى يكون قد أودع حكمة أو أدباً واشتمل على تشبيه غريب ومعني نادر"[٥]

---

(١) يقصد ابن قتيبة.

(٢) المرجع السابق، ص ٢٧٥.

(٣) دلائل الإعجاز، ص٢٧٥.

(٤). المرجع السابق، ص٢٩٤.

(٥). المرجع السابق، ص١٩٤.

ولست بناظر "في كتاب صُنف في شأن البلاغة وكلام جاء عن القدماء إلا وجدته يدل على فساد هذا المذهب. ورأيتهم يتشددون في إنكاره وعيبه والعيب به. وإذا نظرت في كتاب الجاحظ وجدته يبلغ في ذلك كل مبلغ ويتشدد غاية التشدد".[1]

(١). المرجع السابق، ص١٩٤.

الخاتمة

تمثل هذه الدراسة محاولة لإعادة قراءة نظرية النظم لعبد القاهر الجرجاني في ضوء التداولية وفائض القيمة، حيث سعت إلى إبراز كيف يمكن للبلاغة العربية، ممثلةً في فكر الجرجاني، أن تتقاطع مع أحدث النظريات اللغوية والنقدية الحديثة. لقد أثبتت الدراسة أن المعنى في نظرية النظم ليس ناتجًا عن الألفاظ المفردة، بل يتشكل من خلال العلاقات النحوية والسياقية التي تربط بين العناصر اللغوية، مما يجعلها قريبة من المفاهيم الأساسية للتداولية. كما أظهرت أن فائض القيمة في الخطاب الأدبي ينبثق من تعددية المعاني والتأويلات التي يتيحها النظم، وهو ما يعكس الطبيعة الديناميكية للنصوص البلاغية. ومن خلال استقراء هذه العناصر، تسعى الدراسة إلى إثبات أن الجرجاني لم يكن مجرد بلاغي تقليدي، بل كان رائدًا في فهم العلاقة بين اللغة والسياق، وأن نظريته في النظم يمكن أن تكون أساسًا لدراسات تحليل الخطاب الحديثة. تؤكد هذه الدراسة أن البلاغة العربية، ممثلة في نظرية النظم، لا تزال تحمل الكثير من الإمكانات البحثية التي يمكن استثمارها في ضوء النظريات الحديثة. كما أن الربط بين التداولية وفائض القيمة يفتح مجالات جديدة لفهم كيفية إنتاج المعنى في النصوص، مما يعزز الحاجة إلى إعادة النظر في التراث البلاغي بمنهجيات أكثر انفتاحًا وديناميكية.

نتائج الدراسة:

١. تقاطع نظرية النظم مع التداولية :أكدت الدراسة أن مفهوم النظم عند الجرجاني يتوافق مع النظريات التداولية الحديثة في التأكيد على أن المعنى لا ينشأ من الكلمات بذاتها، بل من العلاقات السياقية والاستعمالية التي تشكلها داخل الخطاب.

٢. فائض القيمة في البلاغة العربية :أوضحت الدراسة أن النصوص البلاغية تحتوي على فائض دلالي لا يتوقف عند المعنى الظاهري، بل يمتد إلى معانٍ إضافية تتولد من خلال السياق والتلقي، مما يجعلها مجالًا خصبًا للتأويلات المختلفة.

٣. السياق بوصفه مفتاحًا للمعنى :أظهرت الدراسة أن السياق عند الجرجاني هو العنصر الأساسي في تحديد دلالة النصوص، مما يجعله قريبًا من الاتجاهات التداولية التي تؤكد على أهمية السياق في إنتاج المعنى.

٤. إمكانات تأويلية متعددة :بينت الدراسة أن نظرية النظم لا تقدم نموذجًا مغلقًا للمعنى، بل تتيح قراءات متنوعة للنصوص البلاغية، مما يعزز فكرة أن الخطاب الأدبي يتسم بالانفتاح على دلالات غير متوقعة.

٥. إمكانية توظيف نظرية النظم في تحليل الخطاب المعاصر :أثبتت الدراسة أن مفاهيم الجرجاني يمكن أن تكون إطارًا نظريًا مفيدًا في تحليل الخطاب الأدبي والبلاغي المعاصر، خاصة عند دمجها مع نظريات التداولية الحديثة.وتؤكد هذه الدراسة أن البلاغة العربية، ممثلة في نظرية النظم، لا تزال تحمل الكثير من الإمكانات البحثية التي يمكن استثمارها في ضوء النظريات الحديثة .كما أن الربط بين التداولية وفائض القيمة يفتح مجالات جديدة لفهم كيفية إنتاج المعنى في النصوص، مما يعزز الحاجة إلى إعادة النظر في التراث البلاغي بمنهجيات أكثر انفتاحًا وديناميكية..مر علم البلاغة بمراحل مختلفة إلى أن تحددت معالمه واستقرت قواعده.

٦. مثلت كل مرحلة من مراحل تطور البلاغة، والذين أسهموا في تأسيس العلم وتطويره اجتهدوا في وضع النظريات والتصورات والمصطلحات وأبرزهم الجرجاني.

٧. دور الجرجاني في البلاغة العربية ظهر واضحاً وأثبتت نظريته في النظم ذلك الوضوح.

٨. أن معظم النقاد العرب القدامى قد ربط بين البلاغة العربية في تراتيبها الأسلوبية، وبين الصورة الشعرية الفنية؛ لما بين تلك وهذي من صلات قوية.

التوصيات:

١. تعزيز الدراسات المقارنة بين النظريات البلاغية العربية القديمة والمناهج النقدية الحديثة، لا سيما التداولية وتحليل الخطاب، لتوضيح أوجه التلاقي والتمايز بينها.

٢. إعادة قراءة التراث البلاغي من خلال عدسة المناهج الحديثة، مما يسهم في تجديد الدراسات النقدية واللغوية، وجعلها أكثر انسجامًا مع التطورات العلمية المعاصرة

٣. توسيع نطاق البحث في فائض القيمة في الخطاب العربي، سواء في النصوص التراثية أو المعاصرة، من خلال تطبيق نظريات تحليل الخطاب النقدي والتداولي.

٤. دمج التداولية في الدراسات البلاغية الأكاديمية، بحيث تكون جزءًا من مناهج تحليل النصوص في الجامعات العربية، مما يسهم في توسيع آفاق البحث البلاغي والنقدي.

٥. تشجيع الأبحاث التطبيقية التي تربط بين نظرية النظم وتحليل النصوص الأدبية الحديثة، لاستكشاف مدى صلاحية هذه النظرية في دراسة الظواهر اللغوية المعاصرة.

٦. الاهتمام بالتلقي والتأويل كجزء أساسي من الدراسات البلاغية، بحيث لا يقتصر تحليل الخطاب على بنيته اللغوية فقط، بل يشمل كيفية تفاعله مع القارئ والسياق الاجتماعي والثقافي.

٧. توصلت الدراسة إلى تبني جملة من الآراء والرؤى بشأن مناهج البلاغة.

٨. النظر بإنصاف إلى التراث البلاغي القديم من خلال دراسة جهود قدامى البلاغيين في تيسير الدرس البلاغي.

٩. الاهتمام بإعادة طباعة تراثنا القديم خاصة في مجال الشعر والأدب وإصدارات الحقب التاريخية الماضية حتى تكون في متناول يد الأجيال الحاضرة من أجل تثقيفهم وإدراكهم لماضيهم ومن أجل البحث العلمي إذ إن الأخيرة يتطلب توافر المادة العلمية لدراستها.

١٠. دراسة العوامل والمؤثرات التي أحاطت بالتجربة النقدية الأدبية البلاغية والدور الذي أدته تلك المؤثرات سلباً أو وجوباً في تاريخ الحرك النقدية قديماً وحديثاً.

المراجع: -

١. د. أحمد مطلوب، عبد القاهر الجرجاني بلاغته ونقده، الطبعة الأولى، بيروت، "د.ت".
٢. د. درويش الجندي، نظرية عبد القاهر الجرجاني في النظم، مكتبة النهضة، مصر، ١٩٦٠م
٣. د. محمد الحسين عبد القادر "ابوسم" أثر الثقافات الأجنبية على النقد العربي في العصر العباسي، دار جامعة الخرطوم للنشر الطبعة.
٤. د. محمد غنيمي هلال النقد الأدبي الحديث، دار الثقافة، بيروت.
٥. الموسوعة العربية العالمية.
٦. د. أحمد مختار عمر، "علم الدلالة"، دار العروبة، الكويت، ١٩٨٢.
٧. الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر "البيان والتبيين"، ج١، ط٤ تحقيق عبد السلام هارون الخانجي ، القاهرة، ١٩٧٥.
٨. د. إحسان عباس، تاريخ النقد الأدبي عند العرب.
٩. د.عبد القادر حسين، أثر النحاة العرب في البحث البلاغي، الطبعة الثانية، دار قطري بن الفجاءة للنشر والتوزيع، قطر، الدوحة، ١٩٨٦م
١٠. د. جمال الدين عبد العزيز شريف، نظريات الإعجاز القرآني "دراسة في النظريات الكبرى وأثر الواقع عليها"، جامعة الجزيرة، معهد إسلام المعرفة، سلسلة الرسائل الجامعية(٣).
١١. د. محمد مندور، النقد المنهجي عند العرب دار نهضة مصر للطباعة والنشر، ١٩٩٦م، القاهرة، مصر.
١٢. د. عبد الرحمن فضل أحمد طه، الصورة الفنية للمدينة في الشعر العربي المعاصر، رسالة دكتوراه غير منشورة في النقد والأدب، ٢٠١١م.
١٣. أبو هلال العسكري، كتاب الصناعتين، تحقيق أحمد أبو الفضل إبراهيم، ط١، ١٩٨٤م، دار الكتب العلمية: بيروت.
١٤. د.عائشة عبد الرحمن، الإعجاز البياني للقرآن ومسائل أبن الأزرق، دراسة قرآنية لغوية وبيانية ـ دار المعارف ـ القاهرة ـ الطبعة الثانية ، ١٩٨٤م

١٥. ابن العماد، شذرات الذهب، ج٣.
١٦. د. سعد سليمان حمودة، البلاغة العربية، دار المعرفة الجامعية، القاهرة، ٢٠٠٧.
١٧. شهاب الدين بن عبد الله الحموي ـ معجم البلدان، دار صادر بيروت، ج٢، ص١١٩.
١٨. علي بن حسن بن علي بن أبي الطيب الباخرزي ،. دمية القصر وعصرة أهل العصر، تحقيق ودراسة محمد التونجي ، دار الفكر للطبع والتوزيع .

فهرس المحتويات

الموضوع الصفحة

مُتَكَلِّمَة.....١٢١٦
الدراسة الاجرائية:.....١٢٢٠
نشأة الجرجاني و آثاره:.....١٢٢١
علمه وثقافته:.....١٢٢١
التداولية:.....١٢٢٣
آثاره: -.....١٢٢٤
مصنفات عبد القاهر: -.....١٢٢٤
أ. الدراسات النحوية والصرفية والعروضية: ١٢٢٤
ب . الدراسات القرآنية:.....١٢٢٥
مصنفاته البلاغية:.....١٢٢٥
١. دلائل الإعجاز:.....١٢٢٧
2. أسرار البلاغة: -.....١٢٢٩
منهج عبد القاهر الجرجاني، ومكانة اللفظ والمعني عنده ١٢٣٢
أثر منهج الجرجاني في البلاغيين والمفسرين:.....١٢٣٧
موقف عبد القاهر الجرجاني من مسألة اللفظ والمعني:.....١٢٣٧
مكانة اللفظ عند عبد القاهر:.....١٢٤١
مكانة المعنى عند عبد القاهر:.....١٢٤٣
الجمع بين اللفظ والمعني:.....١٢٤٤
ردوده على من انتصر للفظ أو المعني:.....١٢٤٤
الخاتمة.....١٢٤٨
المراجع: -.....١٢٥١
فهرس المحتويات.....١٢٥٣